

اتفاق أهل السنة والجماعة على فضل الصحابة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: فقد اتفق أهل السنة والجماعة على فضل الصحابة - وما خصهم الله - تعالى - به وما ميزهم به من الفضائل التي مدحهم بها وأثنى عليهم، وما تميزوا به من السبق إلى الإسلام وإلى الأعمال الصالحة، وما تميزوا به من الفضل، وأنهم أفضل قرون هذه الأمة، وهذه الأمة أفضل الأمم، والأسباب التي تميزوا بها، ومع ذلك انتصب لهم أعداء الله، ونصبوا لهم العداوة، وألصقوا بهم التهم وألصقوهم بالتهمة، وحملوا عليهم كل الجرائم، ورموهم بالقذائف ورموهم بالكفر، ووسموهم بالنفاق كذبًا وبهتانًا، وبالغوا في ذلك أشد المبالغة، ولا شك أن هذا الفعل من هؤلاء الكفرة من زيع القلوب، ومن الانتكاس والعياذ بالله إلى الحضيض، وقد رفض أعداء الله الاعتراف بفضل الصحابة، فبأعوا بالخسران الميين. وأصل الرفض: الترك، ومنه قولهم: رفضت هذا القول، أي: تركته. هؤلاء أعداء الله خرج مقدمهم وأولهم في عهد علي رضي الله عنه في حياته، وكان سبب ذلك أن يهوديًا دخل في الإسلام نفاقًا يقال له: عبد الله بن سبا ويعرف بابن السوداء، أظهر الإسلام ولكن باطنه الكفر، وأراد بذلك أن يشكك في الإسلام، وأن يدعو إلى أسباب الانحلال، فهو من الذين دعوا الثوار إلى قتل عثمان جمع الجمع، وحشد الحشود، وأثار من أثار حتى اجتمعت عصابات خرجوا من مصر والعراق وغيرها، وحاصروا عثمان - رضي الله عنه - وانتهى الأمر أن قتل شهيدًا - رضي الله عنه - وكان من أسباب ذلك هذا المنافق. ولما قتل وتمت البيعة لعلي ورأى أنه محبوب عند أهل العراق حيث استقر عندهم، أراد أيضًا أن يبطل إسلامهم وأن يوقعهم في الكفر، فدعاهم إلى أن يغلوا في علي وبدل ما هو خليفة وإمام يجعلونه ربًا وإلهًا، فزين لهم وقال لهم: علي هو الرب، علي هو الإله، وانخدع به خلق كثير، واعتقدوا هذا الاعتقاد الفاسد، فقال: ابدعوا بعبادته، فخرج علي مرة وهم صفوف أعداد هائلة، فلما خرج حُرِّوا له سُجَّدًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: أنت إلهنا، فتعجب لذلك ودعا أكابره ليتوبوا، ولكن أصروا و لم يتوبوا، ثم اشتهر أنه أحرقهم، خذ لهم أخايد وأضرم فيها النيران، ودعا أحدهم وقال له: ثب، فإن لم يتب ألقي في النار في تلك الأخايد وهو يُنشد قوله: لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أجدت ناري ودعوت قنبرًا وقنبر هو غلامه. وما زادهم هذا الإحراق إلا تمسكًا بما هم عليه، وقالوا: الآن عرفنا أنك الرب؛ لأنك الذي تحرق بالنار، ولا يعذب بالنار إلا رب النار، فتمسكوا بما هم عليه، وقتل من قتل منهم بالإحراق، وقد أنكروا عليه ابن عباس - رضي الله عنه - الإحراق وقال: إن النار لا يعذب بها إلا الله. وقال: لو كنت أنا لقتلتهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: { من بدل دينه فاقتلوه } رواه البخاري برقم 6922 وقصة الغلاة وإحراقهم في الفتح 12-270، ومجموع الفتاوى 4-519، ومنهاج السنة النبوية 5-12. وأما بقية الأمة فإنهم متفقون على أنهم يقتلون وأنهم كفار. هؤلاء الغلاة الذين جعلوا عليًا إلهًا هم أتباع ابن سبا ولا يزال كثير منهم على هذه العقيدة، ويُحفظ من نشيدهم قولهم: أشهد أن لا إله إلا حيدرُ الأنزع البطين ولا حجابٌ عليه إلا محمد الصادق الأمين ولا طريق إليه إلا سلمان ذي القوة المتين ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى 28-554، وفي منهاج السنة النبوية 2-512. لما كان سلمان من الفرس جعلوه هو الحاجب على الله، وجعلوا عليًا هو الله؟ وحيدرة اسم علي في قوله لما كان يقاتل في خيبر: أنا الذي سمَّنتني أمِّي حَيْدْرَةَ اسم للأسد، وكان علي رضي الله عنه قد سمي أسدًا في أول ولادته باسم جده لأمه أسد بن هشام بن عبد مناف وكان أبو طالب غائبًا فلما قدم سماه عليًا. شرح النووي على مسلم 12-185. كَلَيْتَ عَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْطَرَةَ أَوْ قِيَهُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ أَي: أقتل الأعداء قتلاً واسعًا ذريعًا، والسندرة مكيال واسع وقيل هي العجلة أي أقتلهم عاجلاً، وقيل مأخوذ من السندرة وهي شجرة الصنوبر يعمل منها النبل والقسي. شرح النووي على مسلم 12-186. الأبيات في قصة فتح خيبر. صحيح مسلم (1807).

فصار هذا الاسم علمًا عليه، فهم يقولون: لا إله إلا علي لا إله إلا حيدر، وهذا الاعتقاد مشهور فيهم، هؤلاء هم بقية ورثة ابن سبا "السبئيين" ويقال لهم: "الغلاة". ولما قُتل علي - رضي الله عنه - اعتقدوا أنه لم يُقتل، بل قالوا: إنه رفع في السحاب، واعتقدوا أنه سوف يرجع، فلذلك يقال لأحدهم: فلان يؤمن بالرجعة، ولا يزال كثير منهم يؤمنون بالرجعة إلى اليوم. في بعض الكتب الجديدة يذكر بعضهم أنه جاء أحد علمائهم وقال: إني ألقت كتابًا، قال: في أي شيء؟ قال: في الرجعة، فقال: كيف تكون الرجعة، وقد قُتل علي رضي الله عنه؟ وكيف يرجع وقد قال الله تعالى: { وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا } . فقال: قد آمن بها أسلافنا ومشايخنا وقد كتبوا فيها. فقال: كل ذلك خطأ، أتقلد في الخطأ؟ فقال: بل أنت المخطئ، فلما رأى أنه مشدد في الإنكار ذهب ذلك المؤلف وهو يقول: وإسلاماه! وإسلاماه!! بمعنى أنه لم يجد من يؤيده، أو لم يؤيده هذا الشيخ على الإيمان بالرجعة. إذن فهي عقيدة لا تزال موجودة يعتقدونها كثير في العراق وفي كثير من البلاد التي يكثر فيها التشيع. هذه عقيدتهم، وهناك طائفة منهم غلوا أيضًا في علي ولكن جعلوه مرسلًا من الله، ادَّعوا أن الرسالة له، وأن جبريل أخطأ، كان مأمورًا بأن ينزل على علي ولكنه خان ونزل على محمد فعلي أحق بالرسالة من محمد ولذلك يقول قائلهم: خان الأمين وصدها عن حيدر. الأمين هو جبريل وخان، أي: خان الرسالة. الله تعالى سماه الأمين: { تَرَلَّ يَه الرَّوْحُ الْأَمِينُ } { مُطَاعٌ تَمَّ أَمِينٌ } وهم جعلوه خائنًا، هؤلاء المخونة موجودون أيضًا، ويعتقد هذه العقيدة كثير من الكفرة، ذكر لنا بعض الذين نقلوا عنهم وشاهدوهم أنهم قبل أن يسلموا من الصلاة يضربون بأيديهم على ركبهم ويكررون: خان الأمين خان الأمين، ثم يسلم أحدهم، هذه طائفة منهم، وهم من الغلاة. وأما أكثريةهم فيقال لهم الإمامية، يسمون أنفسهم الإمامية وهم في الحقيقة رفضوا اتباع الحق، وعقيدتهم أن عليًا هو الإمام، وأن الأئمة قبله مغتصبون، فأبو بكر مغتصب للخلافة، وكذا عمر وعثمان وكذا من تولى الخلافة غير علي وذريته، يعتقدون أنهم مغتصبون ما ليس لهم به حق. وهؤلاء أصل تكاثرهم في العراق، ثم انتشروا في غيره؛ وسببه -والله أعلم- ما حدث من بعض ولاة بني أمية في وسط القرن الأول لما تولى ابن زياد على العراق، وسبب قتل الحسين واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية ثم قتل بعده ابن زياد ثم تولى العراق بعد ولاية ابن الزبير الحجاج بن يوسف الثقفي ففي ولاية زياد وفي ولاية أبيه، وفي ولاية الحجاج كان هؤلاء الثلاثة يميلون إلى بني أمية، وفي أنفسهم حقد على علي يزين لهم أنه ممن داهن في قتل عثمان ويقولون: إنه قادر على نصر عثمان فلماذا لم ينصره؟ فكانوا يسبونهم في الخطب على المنابر في العراق وكذا في الشام